أنيس صايغ :
مناضل آخر يدفع ثمن الكلمة الحرة

اسرة تحرير « شؤون فلسطينية »
العاملون في مركز الابحاث

أنيس صايغ نفسه ، وبخط يده ، كتب افتتاحية « شؤون فلسطينية » عن شهيدنا البطل غسان كنفاني . وبعد أيام قليلة وقبل أن تصل كلماته الى المطبعة، كان هو نفسه يتعرض لحادث مماثل ، دفع فيه ضريبة الكلمة الحرة التي قالها وكتبها وأنشأها منظمة اعلامية ضخمة ، تخدم القضية الفلسطينية بالعلم والحقيقة ، بعد أن هزمت طويلا بالجهل والغموض .

واذا كان هذا الحادث الذي تعرض له الدكتور صايغ يملأنا جميعا — خاصة نحن الذين نعمل معه — بالالم والحزن ، الا أننا بالاضافة الى ذلك مليئون بشعور الفخر والاعتزاز . فان تتوجه اسرائيل الى رجالات الفكر الفلسطيني بمحاولات النسف والاغتيال ، فذلك يعني بالدرجة الاولى ان اسرائيل تخاف من الكلمة الحرة أكثر مما تخاف من الرصاصة . ذلك ان الكلمة الحرة هي التي تصنع الرصاصة في النهاية ، وهي التي تحفر لها طريق المستقبل ، وهي التي تحميها وترعاها من أجل بناء وطن عادل لا اضطهاد فيه ولا تشريد ولا ارهاب .

ودور أنيس صايغ في بناء الكلمة الفلسطينية الحرة ، دور معروف . ولكن ما هو معروف منه لا يتعدى الكتاب الذي يصل الى كل قارىء ، وعلى امتداد رقعة واسعة من العالم . حاملا الصورة الواقعية لاسرائيل الارهـــاب والتشريد ، والصورة الواقعية الاخرى لفلسطين الثورة والنضال . أما ما هو غير معروف عن دور أنيس صايغ ، والذي نعرفه نحن العاملين معه ، فهو ذلك التفاني الذي لا مثيل له في العمل الصامت الدؤوب ، والذي يبني ويبني ، في كل لحظة وفي كل ساعة ، من أجل عمل يصل الى يد كل مقاتل ، والى عقل كل مناضل ، والى مكتب كل اعلامي عربي وأجنبي ، ليتمكن مـــن رؤية اسرائيل والقضية الفلسطينية من منظار واضح .

في هذا المجال ، كان أنيس صايغ ولا يزال ، انسانا لا يجارى . فهو دائما أول من يصل الى العمل ، وهو دائما آخر من يغادره . عقله يضج بالمشاريع ، ومشكلتنا معه دائما أن نصل الى نقطة التوازن بين طموحاته وامكانياتنا . ولكنه من خلال كل ذلك ، من خلال الكثير الذي أنجزه ، ومن خلال الكثير الذي لا يزال يحلم بانجازه ، أقام مؤسسة علمية مكرسة لفلسطين ، يمكن القول بكل فخر انها الاولى من نوعها حتى الآن . ويمكن القول بكل فخر أيضا ان الفضل الاول في بنائها يعود له .

ولانه كان كذلك استهدفه الارهاب الاسرائيلي . واذا كان هذا الارهاب لم يستطع النيل من حياته ، فهو بالتأكيد لن يستطيع النيل من ارادته . ومركـــز الابحاث الفلسطينية المستمر في عمله وانتاجه ، والحريص على متابعة النهج العلمي الذي بني عليه ، ينتظر تماثل الدكتور انيس صايغ للشفاء ، وينتظر عودته ليستمر في أداء رسالته .

وهذا الانتظار ليس في حقيقته رغبة منا فقط ، بل هو تجسيد لقناعة أنيس صايغ نفسها حين كتب عن غسان كنفاني يقول ان « سيرة نضاله هي في الواقع ، حياته العملية كلها. ولقد طلب الاستشهاد بنفسه . ولقد عمل له . ولقد سعى اليه . وذلك لانه آمن به . آمن بأن العمل لفلسطين لا حدود له » .